المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 2 العدد: 1جوان 2022 ص ص 49-81
ر ت م د (ISSN): 2800-1184
تاريخ الإرسال (2022/5/25) تاريخ القبول (2022/6/14) تاريخ النشر (2022/6/30)

علاقات التعاون و روابط التحالف الجزائري-العثماني و مسألة سيادة الدولة الجزائرية الحديثة

Algerian-Ottoman Mutual aid, Alliance Relations, and the Question of the Sovereignty of the Modern Algerian State

سعيدوني ناصر الدين
البريد الإلكتروني : nsaidouni@yahoo.fr

ملخص :

يتناول البحث إشكالية العلاقات الجزائرية-العثمانية و فكرة الوطن الجزائري و مسألة كيان الدولة الجزائرية الحديثة (1516-1830)، بالرجوع إلى سيرورة التاريخ الجزائري و المعطيات الجيو-سياسية المتحكمة فيه، و التي سمحت للجزائر باستكمال كينونتها السياسية، و فرض حضورها الدولي في إطار تعاون و تحالف بين قوى المجتمع المحلي (رؤساء القبائل، شيوخ الزوايا، أعيان المدن) و بين القوة العثمانية ممثلة في طلائع مجاهدي البحر و في مقدمتهم الإخوة بربروس.

وهذا ما يفرض مراجعة أطروحات الكتابات التاريخية الاستعمارية الفرنسية و إسهامات من تبناها من الجزائريين المتأثرين بالفكر الاستعماري الذي نفي وجود الدولة الجزائرية في العصور الحديثة كجزء من الرابطة المعنوية العثمانية، مما يستوجب خوض معركة تاريخية طويل الأمد هدفها ترميم الذاكرة الجزائرية المشوهة.

من هذا المنطلق يقترح البحث مفاتيح لتجديد الرؤية للعوامل المحددة لكيان الدولة الجزائرية السابقة للاستعمار و طبيعة علاقاتها بالدولة العثمانية كحليف إستراتيجي في مواجهة القوى المعادية في غرب المتوسط، مع تحليل واقع المؤسسة العسكرية الجزائرية و منظومة الحكم في الجزائر قبل الاحتلال و علاقة إدارة البايليك بالسكان، و طرح مقاربة جديدة لمحددات الأوضاع الدولية التي تحكمت في علاقات الجزائر بالدول الأوربية و أوجدت تحالفا إستراتيجيا مع الدولة العثمانية.

الكلمات المفتاحية :
الكتابات التاريخية؛ الكيان السياسي الجزائري؛ التحالف الجزائري-العثماني؛ الصراع العثماني-الإسباني؛ حوض المتوسط الغربي.

Abstract :

This study approaches the issue of Algerian-Ottoman relations and the emergence of the modern Algerian state (1516-1830), and is based on the historical and geopolitical data that allowed Algeria to be a full political entity with an international presence through the alliance between local forces (tribes, zaouias, influential local figures) and the Ottoman power represented by its maritime force led by the Barbarossa brothers.

Such an approach imposes a thorough review of French colonial historical theses and those developed by Algerian authors influenced by the colonial perception denying the existence of a modern Algerian state allied to the Ottoman power. This is a long term historical battle whose goal is the restoration of the damaged Algerian historical memory.

On this basis, this contribution proposes keys to renew the approach of the determining factors of the pre-colonial Algerian state and the nature of its relations with the Ottoman state as an ally in the fight against the enemy forces in the Western Mediterranean, and by analysing the reality of the Algerian military institution and the system of government in Algeria before the French colonization and the relationship of the Beylik administration with local populations, and by proposing a new approach to international conjunctures determining Algeria's relations with European states that led to a strategic alliance with the Ottoman power.

Keywords :
Historical Writings; Algerian Political Entity; Algerian-Ottoman Alliance; Ottoman Spanish Struggle; Western Mediterranean.

مقدمـة

تستعرض هذه الورقة إشكالية طبيعة الروابط بين الجزائر و الدولة العثمانية و مسألة بداية تشكل الدولة الجزائرية الحديثة في مطلع القرن السادس

عشر من خلال تقييم العلاقات الجزائرية-العثمانية اعتمادا على الوقائع التاريخية و بالرجوع إلى دراستنا لتاريخ الجزائر في العصر الحديث، مع تحري الموضوعية التاريخية في مسألة أثقلتها الصور النمطية التي شكّلتها الكتابات الفرنسية عن العهد العثماني في الجزائر في محاولتها تبرير المشروع الاستعماري الفرنسي و تجميل صورته مقارنة بما سبقه.

وحتى يمكن الإلمام بجوانب هذا الموضوع الشائك، سوف نتناوله من خلال نقاط محددة:

1. الكتابات التاريخية حول العلاقات الجزائرية-العثمانية بين الواقع التاريخي المُجرّد و التصور التاريخي الافتراضي.
2. طبيعة الروابط الجزائرية-العثمانية و النتائج المترتبة عنها.
3. الكيان السياسي للدولة الجزائرية الحديثة (1516-1830): مرجعياته و مظاهره و ارتباطها بفكرة الوطن و محددات الهوية.
4. المسائل المحددة لطبيعة الدولة الجزائرية الحديثة: بين النظرة الواقعية و التفسيرات الإيديولوجية-السياسية.
5. خاتمة: معركة الذاكرة التاريخية للجزائر في العصر الحديث بين الاعتبارات الإيديولوجية و الموضوعية التاريخية.

1. الكتابات التاريخية حول العلاقات الجزائرية-العثمانية بين الواقع التاريخي المُجرّد و التصور التاريخي الافتراضي

تشكل الكتابات التاريخية عن الفترة الحديثة من تاريخ الجزائر رصيدا يتميّز بتنوع المواضيع، و تعدد وجهات النظر، و اختلاف المستوى المعرفي، و تباين المنطلقات الإيديولوجية. و كنت قد تعرّضت لطبيعة هذه الكتابات في عدة بحوث سابقة[1]، لذا أكتفي هنا بتحديد منطلقاتها و تصنيف توجهاتها و موقفها من مسألة

[1] نذكر من هذه الدراسات التي أُنجزت في الموضوع:
سعيدوني (ناصر الدين) : "إشكالية نهاية الدولة الجزائرية في العهد العثماني (1830): بين الأزمة الداخلية و الظروف الدولية و الهزيمة العسكرية"، *الأيام الدراسية حول العلاقات الجزائرية-*

العلاقات الجزائرية العثمانية-الجزائرية و مسألة السيادة الجزائرية. و يمكن إجمال هذه الكتابات من حيث المقاربة التاريخية في صنفين اثنين:

التركية منذ الفترة العثمانية حتى الآن، الجزائر، 10-11 مارس 2017، (قُدم للنشر في أعمال الأيام الدراسية و لم يصدر حتى الآن).

_____، "طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، ص ص. 37-57.

_____، "وثائق الأرشيف الجزائري المتعلق بالفترة العثمانية"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 59-77.

_____، "السيادة الجزائرية في العهد العثماني"، ضمن كتاب *الجزائر منطلقات و آفاق*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، ص ص. 165-199.

_____، "مقاربة تقييمية للأبحاث حول تاريخ الجزائر العثمانية"، المؤتمر الدولي: *الرؤى المتقاطعة حول الموروث العثماني بالجزائر خلال الفترة العثمانية (1516-1830)*، كلية اللغة العربية وآدابها و اللغات الشرقية، جامعة الجزائر، 13-14 ديسمبر 2017.

_____، "واقع و آفاق الدراسات العثمانية في الجزائر (عرض تعريفي و نظرة شاملة)"، *مجلة المواقف*، جامعة معسكر، عدد 7، ديسمبر 2012، ص ص. 9-45.

_____، "موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر: صلاحياتهم الإدارية و مهامهم الاقتصادية و الاجتماعية"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 167-211.

_____، "نظرة في المناهج الجامعية و المؤلفات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 79-89.

_____، "المصادر المحلية لدراسة تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 91-113.

_____، "الجزائر في الذاكرة التاريخية: مسألة السيادة الجزائرية في العهد العثماني"، ضمن *أعمال مؤتمر التاريخ العربي الرابع (العرب من مرج دابق إلى سايكس بيكو: 1516-1916)*، بيروت، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، 2019، (الفصل الحادي عشر)، ص ص. 449-484.

_____، "الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية، نموذج مقاطعة دار السلطان"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 231-245.

-**SAIDOUNI (N.)** : *L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830)*, Beyrouth, Dâr Al-Gharb Al-Islâmî, 2001.

-**SAIDOUNI (N.)** : « La présence ottomane en Algérie : La question de l'autonomie et de la dépendance », *Uluslararası Fethinin 500. Yılında Cezayir, Barbaros Hayrettin Paşa ve Osmanlı Denizciliği Sempozyumu*, Manisa, Turkey, 1-3 Aralık, 2016.

- صنف أول التزم إلى حد كبير بالواقع التاريخي، و كان أقرب إلى الموضوعية والنظرة المحايدة، اعتمادا على المادة التاريخية المتوفرة. وهذا ما أقرت به أغلب الكتابات الجزائرية ذات التوجه الوطني[2]، و التزم به بعض الباحثين الفرنسيين و الأوربيين من أصحاب المقاربة الأكاديمية أمثال دوفو (Devoulx)، و ديلفان (Delphin)، و دوني (Deny)، و كولومب (Colombe)، و إمريت (Emerit)، و مونتران (Mantran) ، و آجرون (Ageron)[3].

- أما الصنف الثاني من الكتابات التاريخية عن الجزائر في العصر الحديث فقد عالج الأحداث انطلاقا من تصور واقع تاريخي افتراضي، و تأثر برؤى ذاتية و أفكار مسبقة و دوافع إيديولوجية و منطلقات حضارية و أهداف سياسية حددت قناعاته و توجهاته، فكان تفسيره للأحداث متحيّزا هدفه إثبات أو إضفاء مظهر مقنع على تصور افتراضي للتاريخ الجزائري الحديث. و كان هذا منحى أغلب الكتابات

---

[2] انظر أسفله فقرة الكتابات التاريخية الجزائرية ذات البعد الحضاري.

[3] **DEVOULX (A.)** : *Le registre des prises maritimes, traduction d'un document authentique et inédit*, extrait de la *Revue africaine*, XV-XVI, 1871-1872, Alger, Jourdan, 1872.

-**DELPHIN (G.)** : « Histoire des Pachas d'Alger de 1515 à 1745, extrait d'une chronique indigène », traduite et annotée par G. Delphin, in *Journal asiatique*, série 19, avril-juin 1922, pp. 161-233.

-**DENY (J.)** : « Les registres de solde des janissaires conservés à la B.N.A. », *Revue africaine*, LXI, 1920, pp. 19-46 et 212-260.

-**DENY (J.)** : « À propos du fond arabo-turc des archives du Gouvernement général de l'Algérie », *Revue africaine*, LXII, 1921, pp. 375-378.

-**COLOMBE (M.)** : « Contribution à l'étude du recrutement de l'*Odjaq* d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence », *Revue africaine*, LXXXVII, 1943, pp. 165-183.

-**EMERIT (M.)** : « La situation économique de la Régence d'Alger en 1830 », *Information historique*, 2, mars-avril 1952, pp. 169-172.

-**EMERIT (M.)** : « L'Algérie de 1830 comparée aux autres pays méditerranéens », *Information historique*, 5, novembre- décembre 1963, pp. 194-196.

-**MANTRAN (R.)** : « Les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie, Notes pour une étude plus approfondie », *Annuaire de l'Afrique du Nord,* 1962, C.N.R.S., pp. 248-343.

-**MANTRAN (R.)** « Le statut de l'Algérie, de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'empire ottoman », in *Atti del I Congresso internazionale di studi nord-africani*, Cagliari, 22/25,1965, pp. 205-216.

-**AGERON (Ch.-R.)** : *Histoire de l'Algérie contemporaine*, Paris, P.U.F., 1980.

الغربية، و خاصة الفرنسية، في فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي و أثناءها و حتى بعدها.

ومن هذا الصنف الثاني نذكر على سبيل المثال، بالنسبة لفترة ما قبل الاحتلال، كتابات كل من: الأب دان (Père Dan)، و باناني (Pananti)، و شو (Shaw)، و فانتور دي بارادي (Venture de Paradis)، و بيرو (Perrot)، و بايصونال (Peyssonnel)، و دي فونتان (Desfontaines)، و لوجيي دو تاسي (Laugier de Tassy)، و دوبوا ثانفيل (Dubois-Thainville)[4].

و فيما يخص فترة الاحتلال الفرنسي وما بعده نورد على سبيل المثال ما كتبه كل من:

بارتيا (Bartillat)، و روزي (Rozet)، و برتوزان (Berthezène)، و بيليسيه دي راينو (Pellissier de Reynaud)، و إيسترهازي (Esterhazy)، و كلوزول (Clausolles)، و دوما (Daumas) و جيبار (Gibert)، و لابين (Lapène)، و كاريت (Carette)، و غافاريل (Gaffarel)، و دوغرامون (De Grammont)، و مرسييه

[4]**DAN (R. P. Fr. Pierre)** : *Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli*, 2ème éd., Paris, P. Rocolet, 1637, p. 111.

-**PANANTI (Joseph)** : *Relation d'un séjour à Alger contenant des observations sur l'état actuel de cette Régence*, trad. de l'anglais par E. Blanquière, Paris, Le Normand, 1820, pp. 240, 410-411.

-**SHAW (Thomas)** : *Voyage dans la Régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc. de cet état*, trad. de l'anglais avec des nombreuses augmentations par J. Mac Carthy, Paris, Marlin, 1830, pp. 212-214.

-**VENTURE DE PARADIS (Jean-Michel)** : *Tunis et Alger au 18e siècle*, Paris, Sindbad, 1983.

-**PERROT (A.-M.)** : *Alger, esquisse topographique du royaume et de la ville*, Paris, Ladvocat, 1830.

-**PEYSSONNEL (J.-A.)** : *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger*, Paris, La Découverte, 1987.

-**DESFONTAINES (R.-L.)** : *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger*, pub. par M. Dureau de la Malle, Paris, Gide, 1838, T. 2.

-**LAUGIER DE TASSY (Jacques-Philippe)** : *Histoire du royaume d'Alger et du bombardement de cette ville en 1816, description de ce royaume et des révolutions qui y sont arrivées*, Paris, Piltan, 1832.

-**DUBOIS-THAINVILLE (Charles-François)** : *Mémoire sur Alger en 1809*, pub. par G. Esquer, Paris, Champion, 1927.

(Mercier)، و إيسكر (Esquer)، و بواييه (Boyer)، و جوليان (Julien)[5].

و حتى نتعرف على نظرة هذه الكتابات الفرنسية على الوجود العثماني بالجزائر، نورد بعض الفقرات المعبّرة عنها فيما يلي:

[5]**BARTILLAT (Armand Jehannot)** : *Relation de la campagne d'Afrique en 1830*, Paris, G.A. Dentu, 1831.
-**ROZET (Claude-Antoine)** : *Voyage dans la Régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique*, Paris, Arthus Bertrand, 1833, 3 vols.
-**BERTHEZENE (Pierre de)** : *Dix-huit mois à Alger ou récit des événements qui s'y sont passés depuis le 14 juin 1830, jusqu'à la fin de décembre 1831*, Montpellier, imp. Ricard, 1834.
-**PELLISSIER DE REYNAUD (Edmond)** : *Annales algériennes*, Alger, Anselin et Gautier, Laguione, 1836-1839, 3 vols.
-**ESTERHAZY (Walsin)** : *De la domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger*, Paris, C. Gosselin, 1840.
-**CLAUSOLLES (P.)** : *L'Algérie pittoresque, Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours*, Toulouse, Paya, 2 parties, 1843.
-**DAUMAS (E.)** : *Exposé de l'état actuel de la société arabe, du gouvernement et de la législation qui la régit*, Alger, imp. du Gouvernement, 1844.
-**GALIBERT (Léon)** : *L'Algérie ancienne et moderne*, Paris, éd. Furne et C^{ie}, 1844.
-**LAPÈNE (Edouard)** : *Tableau historique de l'Algérie depuis l'occupation romaine jusqu'à la conquête par les Français en 1830,* Metz, imp. de S. Lamort, 1845.
-**CARETTE (Ernest)** : *L'Algérie,* Paris, F. Didot, 1862.
-**GAFFAREL (Paul)** : *L'Algérie : histoire, conquête et colonisation*, Paris, Firmin-Didot, 1883.
-**GRAMMONT (Henri Delmas de)** : *Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830*, Paris, E. Leroux, 1887.
-**MERCIER (Ernest)** : *Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830),* T.3. Époque moderne (1515-1830), Paris, E. Leroux, 1891.
-**ESQUER (Gabriel)** : *Les commencements d'un empire, la prise d'Alger, 1830*, Paris, Larose, 1929.
-**JULIEN (Charles-André)** : *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, Payot, 1964, T. II.
-**BOYER (Pierre)** : « Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger: 16-19ème siècles », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 1, 1966, pp. 11-49.
-**BOYER (Pierre)** : « Introduction à l'histoire intérieure de la Régence d'Alger », *Revue historique*, T. 235, 1966, pp. 297-316.

- جاء في تقرير لابانسونيار (La Pinsonnière) للجنة الإفريقية (1833): "لقد تسبب الأتراك الذين احتلوا الجزائر عسكريا في تدميرها، ولم تنتج حكومتهم سوى مغتصبين و أعداء"[6].

- روب (Robe): "إن حكومة الأتراك كانت حكومة أجنبية بالنسبة للإيالة الجزائرية، نتجت عن القوة وكانت عملية اغتصاب"[7].

- دوغرامون (De Grammont): "إن الأتراك كانوا يحتلون إيالة الجزائر و لم يكونوا قط يحكمونها"[8].

- أوغسطين برنار (Augustin Bernard): "يمكن القول بدون مبالغة أن الجزائر الجزائرية لم تكن موجودة قبل وصول الفرنسيين، و لم يكن لها حتى مجرد اسم تُعرف به. لقد أخرجناها حقيقة من العدم، و أعطيناها اسمها و شخصيتها"[9].

- غوتييه (Gautier): "إن هذه البلاد (شمال إفريقيا و منها الجزائر) ليس لها اسم تُعرف به في العالم، حيث نجد أنفسنا مضطرين لأن نختار لها اسما معينا، و ذلك لأنها لم تتمتع أبدا بوجود سياسي متميّز"[10].

- موريس توريز (Maurice Thorez) (زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي) (11 فبراير 1939): "إن الأمة الجزائرية في طريق التكوين تاريخيا (أي تنتظر من الفرنسيين تشكيلها...)"[11].

- ميرسييه (Mercier): "ساهمت سياسة الأتراك في الجزائر في إخماد كل إحساس وطني لدى الجزائريين، بل أذكت بينهم روح العصبية القبلية (الصف)"[12].

---

[6]**LA PINSONNIÈRE** : *Rapports et Procès-Verbaux. Commission d'Afrique*, d'après X. Yacono, « La Régence d'Alger en 1830, d'après l'enquête des commissions de 1833-1834 », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 1, 1966, p. 238.

[7]**ROBE (Eugène)** : *Origines, formation et état actuel de la propriété immobilière en Algérie*, Paris, Challamel, 1885.

[8]**GRAMMONT (Henri Delmas de)** : *Op.cit.*, p. 413.

[9]**BERNARD (Augustin)** : *L'histoire des colonies françaises*, T. 2 : L'Algérie, Paris, Plon, 1920.

[10]**GAUTIER (Emile-Félix)** : *Le passé de l'Afrique du Nord : les siècles obscurs*, Paris, Payot, 1952, p. 7.

[11]**THOREZ (Maurice)** : « Le peuple algérien uni autour de la France : Le Discours d'Alger le 11 février 1939 », *La Brochure Populaire, 3ème année, n◦ 7, avril 1939*, p. 12.

- بوابيه (Boyer): "إن الأقلية التركية بالجزائر استغلت البلاد بطريقة سيئة لفائدتها، و هي بالتأكيد استعمارية بأسوء معاني هذه الكلمة"[13].

- شارل آندري جوليان (Ch.-A. Julien): "إن الحكم التركي للجزائر المتمثل في "الأوجاق" لم يكن ذا طابع وطني، و لم يسمح بقيام وحدة وطنية أو حدوث تيقظ للضمير الجزائري رغم توفر الظروف المشجعة على ذلك"[14].

وقد ساير هذه المواقف المجحفة التي تغافلت عن الحقائق التاريخية و عبّرت عن موقف مسبق، بعض الكتاب الجزائريين الذين تبنوا بفعل تأثرهم بالثقافة الفرانكوفونية و تشربهم للأفكار الغربية الأطروحات الفرنسية السلبية تجاه الوجود العثماني بالجزائر، نذكر منهم: محيي الدين جندر، و عبد الرحمن بن آشنهو، و مولود قايد، و الهادي فليسي، و محمد الشريف ساحلي، و نور الدين عبد القادر، و فرحات بن معمّر.

و من الأمثلة على ما أورده هؤلاء الكتاب الجزائريون:

- عبد الرحمن بن آشنهو: "إن الإدارة التركية أداة تعمل لملء أكياس الخزينة و جيوب الأقلية التركية الحاكمة المسيطرة، مما جعل ثروة البلاد في مثل هذا الوضع أشبه شيء بقطعة حلوى يأخذ منها كل موظف ما يخوله له منصبه"[15].

- نور الدين عبد القادر: "إن الحكم العثماني للجزائر يتصف بالتعسف، فهو إقطاعي مستبد لم يكن فيه للأهالي نصيب"[16].

- محيي الدين جندر: "إن حكومة أتراك "الوجاق" أنشئت و تدعمت و حافظت على بقائها ليس نتيجة تطور محلي ساهم فيه السكان، و إنما بفعل تحكم الإقطاع و ما نتج عنه من تفكك و تلاش و ركود و تقهقر"[17].

---

[12] **MERCIER (Ernest)** : *Comment l'Afrique septentrionale a été arabisée*, Constantine, Imp. L. Marle, 1874, p. 16.

[13] **BOYER (Pierre)** : « Introduction à l'histoire intérieure de la Régence d'Alger », *Op.cit.*, pp. 311-312.

[14] **JULIEN (Charles-André)** : *Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871)*, Paris, P.U.F., 1964, pp. 15-20.

[15] **BENACHENHOU (A.)** : *L'État algérien en 1830*, Alger, S.N.E.D., s.d., p. 27.

[16] **عبد القادر (نور الدين)** : *صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء الحكم التركي*، جامعة الجزائر، منشورات كلية الآداب، قسنطينة، مطبعة البعث، 1965، ص. 288.

- مولود قايد: "الأتراك أجانب و قد ظلوا أجانب طيلة القرون الثلاثة، و ذلك لعدم تمكنهم من الاتصال بالسكان المحليين"[18].

- معمّر فراح: كتب مؤخرا مقالة بعنوان "هل يجب أن نتجاوز على جرائم العثمانيين لأنهم مسلمين؟"[19].

و بينما قد نجد عذرا للكتاب الفرنسيين لكونهم ملتزمين بخدمة المشروع الاستعماري الفرنسي القائم على إلغاء الوجود الجزائري مهما كان شكله قبل الاحتلال، فإننا لا نجد ما يبرر موقف جزائريين رفضوا بفعل الاستلاب الثقافي و التبعية الفكرية الإقرار بمظاهر السيادة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي، فخدموا بذلك بطريقة غير مباشرة الأطروحة الاستعمارية و رسّخوها في العقول و منحوها شرعية بما أنهم ينتمون للطرف الآخر (الجزائري).

ولم يختلف عن دورهم السلبي النابع من موقف مبدئي معاد للحكم و الوجود العثمانيين ما روّج له بعض الباحثين في المشرق العربي من ذوي الإحساس القومي العربي المعادي لحركة التتريك، أمثال: محمد أنيس، و عبد الله عنان، و السيد الراقد، و قسطنطين رزيق، و مسعود ضاهر، و سيار الجميل، و وجيه كوثراني، و محيي الدين فارس[20].

في المقابل قدمت الكتابات الجزائرية ذات البعد الحضاري النابعة من الثقافة العربية الإسلامية تعبيرا أو انتماءً نظرة إيجابية عن علاقات الجزائر بالدولة العثمانية. و كان في طليعة من طرحوا هذه المقاربة الإيجابية لتواصل الجزائر مع الدولة العثمانية مؤرخون جزائريون من الجيلين الأول و الثاني من المهتمين بتاريخ الجزائر الحديث أمثال: أحمد توفيق المدني، و أبو القاسم سعد الله، و يحيى بوعزيز، و جمال قنان، و مولود قاسم نايت بلقاسم، و مولاي بلحميسي، و عبد الرحمن

---

[17]**DJENDER (Mahieddine)** : *Introduction à l'histoire de l'Algérie*, Oran, S.N.E.D, 1968, p. 65.

[18]**GAID (Mouloud)** : *L'Algérie sous les Turcs*, Tunis, S.N.E.T., 1974.

[19]**FARAH (M.)** : « Faut-il pardonner aux Ottomans leurs crimes parce qu'ils sont musulmans? », in *Le Soir d'Algérie*, 22 avril 2021.

[20] للتعرف على هذا التوجه، انظر: **سعيدوني (ناصر الدين)** : "نحو مقاربة جديدة لتاريخ العرب الحديث، مناقشة مفاهيم و عرض تصورات"، *مجلة الخليج للتاريخ و الآثار*، الكويت، جمعية التاريخ و الآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، العدد 2، 2006، ص ص. 117-151.

الجيلالي، و محمد بن عبد الكريم، و إسماعيل العربي، و العيد مسعود، و المهدي البوعبدلي، و ناصر الدين سعيدوني، و محفوظ قداش، و منور مروش، و عبد القادر زبادية. و قد واصل إسهامهم الجيل الثاني من الباحثين في تاريخ الجزائر الحديث الذين تعمّقوا في دراسة مختلف جوانب العلاقة الجزائرية-العثمانية، و لم يرضوا بالموقف الإيديولوجي المسبق، أمثال: شكيب بن حفري، و محمد درّاج، و زهرة زكية، و ودّان بوغفالة، و نعيمة بوحمشوش، و فتيحة الوليش، و فريد بنور.

بينما تميّز موقف المهتمين بالقضايا الاجتماعية و المسائل الاقتصادية و العلاقات الثقافية بموقف متحفظ من المسألة، فلم تكن لهم نظرة سلبية للتواصل العثماني-الجزائري، و إنما آثروا الابتعاد عن الجوانب السياسية و المواقف الإيديولوجية بفعل ارتباطهم بالتراث الأدبي و دراسة نفسية السكان و بالمنهجية الأنثربولوجية و الإثنولوجية، نذكر منهم: عمر بن خروف، و عائشة غطاس، و فاطمة الزهراء قشي، و جميلة معاشي، و علامة صليحة، و فلّة موساوي، و هواري تواتي، و الطيب شنتوف، و أرزقي شويتام، و حميدة عميراوي، و حنيفي هلايلي[21].

على العموم تصب رؤية المؤرخين الجزائريين في مقاربة تبرز أوجه تواصل الجزائر مع الدولة العثمانية، و تظهر حفاظها على خصوصيتها و عدم خضوعها للهيمنة التركية كما ادعى أغلب الكتاب الفرنسيين و من تأثّر بهم. و قد تمكّن الكتاب الجزائريون، انطلاقا من المعطيات التاريخية، من التأسيس لأطروحة وجود كيان جزائري تعامل مع الدولة العثمانية في إطار تعاون إستراتيجي و تواصل حضاري و تحالف عسكري.

هكذا نجد أنفسنا أمام تصورين متناقضين للعلاقة الجزائرية-العثمانية و مسألة سيادة الجزائر: تصور افتراضي مرتبط بالمشروع الاستعماري، و تصور واقعي يحاول الخروج من الأسر الإيديولوجي و الفكري الاستعماري بالرجوع إلى المعطيات الموضوعية التي تؤكد خصوصية الروابط الجزائرية العثمانية و إسهام الوجود العثماني في بلورة كيان جزائري ذي سيادة، و هو الموقف الأقرب إلى الحقيقة التاريخية، كما نحاول إبراز ذلك في النقطة التالية.

[21] اعتمدنا في هذا التصنيف على كتاباتهم المنشورة.

2. طبيعة الروابط الجزائرية-العثمانية و النتائج المترتبة عنها

تدل الوقائع التاريخية أن الدولة العثمانية لم تستول على الجزائر بالقوة العسكرية كما كان الشأن في أغلب أقطار المشرق العربي، و إنما كان التحاق الجزائر بدولة الخلافة العثمانية طوعيا بعد أن استغاث السكان بها لصد العدوان الإسباني الذي كان يهدد سواحل البلاد في مطلع القرن السادس عشر، و كان يمثل خطرا وجوديا على الإسلام في الشمال الإفريقي في أعقاب سقوط الأندلس و اندفاع القوة الإسبانية لتنفيذ مشروعها الكاثوليكي (الريكونكيستا). و هذا ما جعل الجزائريين منذ البداية في موقف الأعوان المناصرين و الحلفاء المخلصين للدولة العثمانية بفعل العاطفة الدينية و المصلحة المشتركة. و لم ير الجزائريون في مجاهدي البحر بزعامة الإخوة بربروس العثمانيين غزاة محتلين و إنما منقذين لهم في محنتهم بعد ضياع الأندلس خاصة مع تقاعس وضعف الحكام المحليين أمام الخطر الداهم، فكانت نظرتهم لقدوم العثمانيين إلى البلاد إيجابية مكّنتهم من تجديد طاقتهم و بعث ثقتهم في النفس، وهذا ما عبّر عنه عثمان الكعّاك بقوله: "الحقيقة أن الأتراك قاموا بأعمال جددوا بها الإسلام و أرجعوا إليه عنصر الشباب[22]."

لقد اكتسبت الرابطة الجزائرية العثمانية طابعا شرعيا لضرورات أمنية و اعتبارات روحية و دوافع سياسية تنفي صفة التبعية أو السيطرة أو الخضوع للدولة العثمانية، و تؤكد علاقة التعاون و التحالف في مفهومه الإسلامي على اعتبار السلطان العثماني الممثل الروحي للمسلمين.

و هذا ما تؤكده رسائل الاستغاثة و الاستنجاد التي وجهها السكان الجزائريون إلى السلطان العثماني، منها خطاب أهالي بجاية الذي طلبوا فيه من عروج إنقاذهم من تعسف الإسبان و دعوه للقدوم لنصرتهم (جمادى الثانية 918 هـ/ 1512)[23]؛ و رسالة علماء و أعيان مدينة الجزائر تحت سلطة حاكمها سالم التومي إلى الإخوة بربروس الذين كانوا قد حرّروا جيجل من الجنويين (1514)، و التي طلبوا فيها منهم

---

[22] **الكعّاك (عثمان)**: *موجز التاريخ العام للجزائر*، ط. 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005 (الباب السادس: الجزائر التركية)، ص. 457.

[23] **المدني (أحمد توفيق)**: *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا*، ط. 2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976، ص. 148.

القدوم إليهم وتحريرهم من سطوة الإسبان[24]؛ و رسالة أعيان الجزائر و علمائها إلى السلطان سليم الأول للانضمام إلى دولته بزعامة خير الدين بربروس (1519)[25]؛ و عريضة أعيان قسنطينة للسلطان سليمان القانوني يؤيدون فيه حكم صالح رايس للجزائر و يرجون منه إبقاءه في منصبه (1555)[26].

تنفي هذه الشواهد التاريخية عن الحضور العثماني بالجزائر صفة الاغتصاب و الاستغلال و الاستعمار و التبعية، بل أنها تؤكد طابع التعاون و التحالف الذي اكتسى صبغة شرعية، مما يناقض الأفكار المتحيّزة ضد الدولة العثمانية و المعادية لفكرة وجود دولة جزائرية حديثة التي انبثقت من التعاون و التواصل الجزائري-العثماني.

كما تدفعنا هذه الشواهد إلى دحض الآراء التي روّج لها أغلب الكتاب الأوروبيين و التي تتنكر للواقع التاريخي لأهداف سياسية و مواقف إيديولوجية و اعتبارات ثقافية و التي يشترك فيها دعاة المشروع الاستعماري و المدافعين عنه، و أصحاب النظرة القومية الضيّقة لاعتبارات ثقافية، و أصحاب الميول الجهوية من منطلقات إثنية، و الرافضون للقيم الحضارية و المرتبطون بالثقافة الفرانكوفونية و المتمثلون للأفكار الغربية لدوافع إيديولوجية.

فكل هؤلاء يرفضون الوقائع التاريخية و يعبرون عن موقف مبدئي معاد للوجود التاريخي للجزائر كدولة و أمة، ينظر إلى علاقتها بالدولة العثمانية على أنها

---

[24] رسالة علماء و أعيان مدينة الجزائر برئاسة حاكمها سالم التومي يستقدمون فيها عروج من جيجل (1514) لتحريرهم من سطوة الإسبان، انظر:
GRAMMONT (Henri Delmas de) : *Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830*, éd. Bouchène, 2002, p. 42.

[25] رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول، ذو القعدة 925 هـ/ 1519 م، انظر: **التميمي (عبد الجليل)** : "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 6، 1976، ص ص. 116-120.

[26] عريضة أعيان قسنطينة للسلطان سليمان القانوني تأييدا لحكم صالح رايس، 963 هـ/ 1555 م، انظر: **سعيدوني (ناصر الدين)** : "رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شأن صالح رايس (963 هـ-1555 م)"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص ص. 101-121.

مجرد تبعية واستعمار بغية تشويه الهوية الجزائرية و الإضرار بالذاكرة التاريخية، و تبريرا ضمنيا للمشروع الاستعماري الفرنسي في شكله العسكري و الاستيطاني قبل استقلال الجزائر أو طابعه الثقافي الفرانكوفوني بعد الاستقلال، سلاحهم في ذلك واقع تاريخي افتراضي صادر عن رؤية أوربية مركزية أو قناعات ذاتية ظرفية لا تستند إلى دلائل تاريخية موثقة، بل تتعمد قلب الحقائق و التستر على المواقف المعادية للهوية و الذاكرة الجزائريتين و تدعم أطروحات التنكر لها بالحط من بطولات الرجال الذين صنعوا التحالف الجزائري-العثماني و أسسوا لكيان جزائري سيّد بالمفهوم الحديث، و في مقدمتهم الإخوة بربروس.

إن القارئ النزيه للتاريخ لا يمكن أن يبرر بأي حال من الأحوال تعاون أبي حمو الثالث الزياني مع الإسبان و مناصرته لهم في حصار قلعة بني راشد حيث استشهد إسحاق بربروس (1517)، أو دوره في محاصرة مشور تلمسان حيث تحصّن عروج قبل أن يُلاحق و يستشهد بالوادي المالح (1518). كما لا يمكنه أن يبرر موقف المناوئين لمشروع الإنقاذ الذي تزعمه عروج و خير الدين، من أمثال حميد العبد بتنس، و قارة حسن بشرشال، و سالم التومي بمدينة الجزائر، و ابن القاضي بكوكو، و مناصري شيخ الإسلام عبد المؤمن بقسنطينة[27].

إن الواقع التاريخي يؤكد أن قدوم الإخوة بربروس إلى البلاد الجزائرية بطلب من أهلها كان اللبنة الأولى في تأسيس دولة مركزية بمعايير ذلك الزمن، دولة قوية مهابة الجانب في الداخل و الخارج. فقد شكلت الجزائر حلقة أساسية صعبة المراس في الذود عن أرض الإسلام في وجه الصليبية الزاحفة، كما وصفتها رسالة أهالي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني (948 هـ/1541 م)، و التي جاء فيها: "فهي سياج لأهل الإسلام و عذاب لأهل الكفر و الطغيان"[28].

إن تبني هذا التصور الإيجابي للتاريخ الجزائري الحديث يتطلب مقاربة ظاهرة

---

[27] **خير الدين بربروس** : *مذكرات*، ترجمة محمد دراج، ط. 2، الجزائر، الأصالة للنشر والتوزيع، 2013.

GRAMMONT (Henri Delmas de) : *Op.cit.*, éd. Bouchène, 2002, p. 50.

[28] **التميمي (عبد الجليل)** : "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 3، 1975، ص ص. 100-106.

الدولة العثمانية من واقعها في ذلك الوقت و ليس بإسقاط أنماط تفكيرنا المعاصرة عليها، فهي دولة لا تنطبق عليها مواصفات الدولة القومية الخاصة بالأتراك، و إنما كانت ما يمكن وصفه بنظام حكم عالمي يستمد قوته من مرونته و تقبله لتعدد القوميات و الأديان و المذاهب و إفساحه مجال المبادرة للكيانات المحلية القائمة على خصوصياتها الجغرافية و البشرية، و هذا ما استفادت منه الجزائر البعيدة عن مركز الحكم في بناء شخصيتها الحديثة، و هذا ما نبّه إليه و أكّد عليه الأستاذ المبرّز روبير مونتران العالم بالعثمانيات بخصوصية الظاهرة العثمانية في محاضرة ألقاها في إستانبول سنة 1986 في مؤتمر العلاقات العثمانية-العربية، ملقيا اللوم في تشويه الوجود العثماني في البلقان والبلاد العربية بالمشرق على الموقف العدائي للأوربيين من الدولة العثمانية التي وصفها بأنها ظاهرة عالمية تجاوزت وضع القوميات و الديانات[29].

3. الكيان السياسي للدولة الجزائرية الحديثة (1516-1830) : المرجعيات والمظاهر وارتباطها بفكرة الوطن ومحددات الهوية

إن التعاون و الترابط بين الجزائر و الدولة العثمانية عبر ما يزيد عن ثلاثة قرون (1516-1830) حقق للجزائريين الظروف الملائمة لاستكمال بناء هياكل دولتهم، و إقرار أنظمتها الإدارية، و تأكيد استقلالها الفعلي، و فرض حضورها الدولي.

و قد تم ذلك بفعل تطور داخلي و علاقات متوازنة مع الدولة العثمانية، فقد انتقلت الجزائر خلال القرن السادس عشر من كونها جبهة متقدمة في الصراع مع إسبانيا الكاثوليكية (1518-1588) إلى تنسيق عسكري مباشر حفظ لها وضعها الخاص في غرب المتوسط خلال القرن السابع عشر (حكم الباشوات: 1588-1659؛ حكم الآغوات: 1659-1671) لتصبح دولة تتمتع باستقلال فعلي تتعاون مع الدولة العثمانية في إطار المصلحة المشتركة (1671-1711)، حكمها رياس البحر (1671-1689) ثم ممثل طائفة الأوجاق (1689-1711)، استقلت بشؤونها الداخلية و علاقاتها الخارجية منذ معاهدة كارلوفيتش (1699)، لتصبح منذ 1711 و حتى 1830

[29]**MANTRAN (Robert)** : « L'Empire ottoman : La vision européenne », *Studies on Turkish Arab Relations*, Annual 1986, TAIV, pp. 189-192.

دولة قائمة بذاتها لا تربطها بالدولة العثمانية سوى المصالح المشتركة و الاعتبار الأدبي للسلطان العثماني باعتباره رمز وحدة الشعوب الإسلامية و الذي يمثله موظف شرفي يُعرف بالباشا[30].

لقد حققت الجزائر تدريجيا بفعل التعاون و التحالف مع الدولة العثمانية مكاسب إستراتيجية رسّخت وجودها كواقع جيو-سياسي قائم؛ فاستكملت من خلال نظام حكمها الخاص الذي فرضته علاقة التعاون مع الدولة العثمانية و ساعدت عليه الظروف السائدة في منطقة مواجهة ساخنة، كيانها السياسي المستقل كدولة لها حضور قوي في غرب المتوسط بفعل نشاط بحريتها و إقرار أنظمة إدارية خاصة بها تنظم شؤونها المحلية و تراعي خصوصياتها الجغرافية (تنظيمات البايليكات)، و تؤمن معاملاتها الاقتصادية، و توازناتها الاجتماعية.

من خلال تأكيد وجودها السياسي و الاقتصادي و الإستراتيجي و نظام حكم أقرب إلى الأنظمة الحديثة منه إلى الأنماط التقليدية، استقرت أوضاع الجزائر الداخلية، و حققت توازنا و وحدة نسبية بين مكوناتها، و ثبّتت حدودها الشرقية و الغربية في زمن لم تكتمل فيه حدود كثير من الدول الغربية و على رأسها فرنسا، و أقرت عاصمتها المركزية الواقعة على نفس المسافة بين أقصى شرق البلاد و أقصى غربها؛ فكان ذلك مؤشرا قويا على تشكل كيان جيو-سياسي مكتمل الأسس في قلب بلاد المغرب الإسلامي، قادر على الدفاع عن وجوده و الحفاظ على ثقافته العربية الإسلامية و تأمين تواصله مع البلاد الإسلامية حسب وصف لوسيان غولفان (Lucien Golvin)[31].

لقد تبلور الكيان السياسي للجزائر في شكل دولة مركزية ذات طابع حكم جمهوري عسكري أظهر قدرته على إقرار الأمن داخليا و مواجهة الضغوط و الهجمات الأوربية خارجيا، و تميّز بنجاعته الوظيفية و نظامه المحكم، وهذا ما أقرّه كثير من

---

[30]**SERRES (Jean)** : *La politique turque en Afrique du Nord sous la Monarchie de Juillet*, Paris, Paul Geuthner, 1925, p. 194.
-GENTY DE BUSSY (P.) : *De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger et des moyens d'en assurer la prospérité*, 2ème éd., Paris, Firmin Didot, 1839, T. 2, p. 46.

[31]**GOLVIN (Lucien)** : « Le legs des Ottomans dans le domaine artistique en Afrique du Nord », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 39, 1985-1, p. 219.

الكتاب الذين اعترفوا للجزائر بصفة الدولة المستقلة القائمة بذاتها، بمن فيهم كتاب فرنسيون نورد فيما يلي ما دوّنه بعضهم في هذا الشأن:

- جان دريش (Jean Dresch): ذكر في دراسته عن الظاهرة الوطنية الجزائرية أن الأتراك أعانوا الجزائريين في رد الإسبان أثناء القرن السادس عشر، و نجحوا في تنظيم نيابة الجزائر، فكان ذلك أول شكل لظهور دولة جزائرية[32].

- سير (Serres): دايات الجزائر يُعتبرون كحلفاء للباب العالي فقط[33].

- إيف تيرنون (Yves Ternon): لم يعد يربط الداي بالباب العالي سوى علاقات تضامن، و يقدم له في بعض الأحيان إعانة عسكرية[34].

- إرنست واتبلد (Ernest Watbled): دولة الجزائر تشكل جمهورية من خلال شكل حكومتها[35].

- فاتان (Vatin): دولة الجزائر بدون نقاش لها هوية مستقلة و هي صاحبة سيادة، تتماشى و التعريف الجاري به العمل في القانون الدولي[36].

- بيرو (Perrot): الجزائر في سنة 1830 كانت تشكل بصفة مؤكدة دولة (إن الجزائر لها طبيعة دولة)[37].- بجاوي حسب فاتان (Bedjaoui d'après Vatin): إن الجزائر بكل المقاييس في عصرها كانت عضوا في المجتمع الدولي على قدم المساواة مع الآخرين (الدول الأخرى)[38].

---

[32]**DRESCH (Jean)** : « Le fait national algérien », *Hérodote*, 11, 1978, pp. 109-124.

[33]**SERRES (Jean)** : *Op.cit.*, p. 10.

[34]**TERNON (Yves)** : *L'Empire ottomane : Le déclin, la chute, l'effacement*, Paris, Le Félin, 2002, p. 98.

[35]**WATBLED (Ernest)** : « Pachas et pachas-deys », *Revue africaine*, XVII, 1873, pp. 438-443.

-**WATBLED (Ernest)** : « Établissement de la domination turque en Algérie », *Revue africaine*, XVII, 1873, pp. 294-295.

[36]**VATIN (Jean-Claude)** : « L'Algérie en 1830. Essai d'interprétation des recherches historiques », *Revue algérienne des sciences juridiques et économiques*, vol. 7, n◦ 4, décembre 1970, p. 1015.

[37]**PARET (Roger)** : « Quand l'Algérie ne savait pas qu'elle était algérienne », *Preuves*, n◦ 188, octobre 1966, p. 69.

[38]**BEDJAOUI (Mohammed)** : *La Révolution algérienne et le droit*, Bruxelles, Association internationale des juristes démocrates, 1961, pp. 17-18, (d'après J.-C. Vatin).

- غودان (Godin): لقد كانت هناك دولة جزائرية قبل 1830 لأن الإيالة كانت دولة حقيقية يتولى الداي رئاستها و لها خصوصية حقيقية[39].

إن نظرة تاريخية متفحصة لأوضاع الجزائر طيلة تواصلها مع الدولة العثمانية (1516-1830) و تعاملها مع الدول الأوربية تسمح لنا باستخلاص بعض الاستنتاجات التي تحدد طبيعة كيانها السياسي:

- إن مصير الجزائر ارتبط طيلة العصور الحديثة (16-19 م) بمقدرات الدولة العثمانية بفعل روابط حضارية، و تواصل روحي، و تعاون عسكري، و تبادل اقتصادي، و تفاعل ثقافي بين إستانبول و مدينة الجزائر، مما خدم مصلحة الجزائر وضمن أمنها الداخلي و مكانتها الدولية، بينما عادت علاقات الجزائر بالدول الأوربية بالضرر و كانت لها نتائج وخيمة، و لعل أحسن مثال على ذلك التأثير السلبي للامتيازات الفرنسية بالجزائر للحصول على المواد الأولية التي أصبحت تثير شهية الاستعمار الناشئ، و هي الامتيازات التي سارع ديونا الجزائر بإلغائها (1798) بسبب حملة نابليون على مصر و حوّلها إلى الإنكليز (1807) الذين لم يكن موقفهم أفضل من الفرنسيين الذين استرجعوها بفعل الاتفاقيات الجزائرية-الفرنسية المبرمة في عامي 1791 و 1793 و التي منح بموجبها داي الجزائر حسن باشا لفرنسا قرضا بمليون فرنك بدون فوائد، و التي أدت في الأخير إلى الخلاف الفرنسي-الجزائري و إلى ضربة المروحة التي اتخذها الفرنسيون ذريعة لغزو الجزائر[40].

- إن فكرة الوطن الجزائري اكتملت في العصر الحديث بعيدا عن تدخل الأقطار المجاورة و تهديدات الدول الأوربية و في إطار تعاون مثمر مع الدولة العثمانية. فلم تكن للاعتبارات الإثنية أو الميول القبلية أو المطامع السياسية تأثير في بلورة فكرة الوطن التي كان أساسها الأرض الجزائرية و قوامها العقيدة الإسلامية و الثقافة العربية. و قد كان ظهور الكيان السياسي الجزائري الحديث نهاية لمرحلة الدول الإقليمية التقليدية القائمة على عصبية القبيلة و النسب و بداية مفهوم الدولة

---

[39] **GODIN (Frédéric)** : « Le régime foncier de l'Algérie », in *L'Œuvre législative de la France en Algérie*, Collection du Centenaire de l'Algérie, Paris, Alcan, 1930, p. 91.

[40] **سعيدوني (ناصر الدين)**: *تاريخ الجزائر في العهد العثماني*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، ص ص. 101-102.

الحديث، و لن نبالغ إذا قلنا أن الجزائر كانت، نظرا لظروفها الخاصة، من أولى الدول العربية جنوب المتوسط التي عرفت حكما تجاوز الأسر الوراثية إلى نظام أشبه شيء بالجمهوريات الحديثة.

- و انطلاقا من فكرة الوطن فإن مفهوم الهوية الجزائرية اكتمل في هذه الفترة بعد مخاض صعب و طويل استمر قرونا، فخرجت الجزائر نهائيا من مرتبة الإقليم الخاضع للقوى الأجنبية، كما كان الأمر في فترة الهيمنة الرومانية و الوندالية و البيزنطية، و تخلصت من نموذج الدول العصبية التي كانت سائدة في الفترات الإسلامية مع الرستميين و الحماديين و المرابطين و الموحدين و الزيانيين. و بفعل هذا المخاض التاريخي الطويل أصبحت الجزائر وطنا لكل من ارتبط مصيره بالجزائر و انتسب إليها و عمل لصالح سكانها، و كان له استعداد للتضحية بحياته للدفاع عنها، و ليس بالضرورة من وُلد في الجزائر و عادى قيمها الحضارية و عمل ضد مصالح شعبها و تعاون مع القوى المعادية لها، أو تآمر مع المعتدين عليها، مما يكسب شخصيات من قبيل عقبة بن نافع و عبد الرحمن بن رستم و خير الدين بربروس صفة الجزائريين، فيما يفتقدها من تعامل مع الرومان و خدمهم، و ناصر الإسبان و تآمر معهم، و تحالف مع الفرنسيين و تطوع لخدمتهم، و نموذج الأقدام السوداء و الحركة شاهد على ذلك.

فالوطنية الجزائرية في مفهومها التاريخي الثابت و ليس اعتبارا للتنظير القانوني، لا تُكتب بالولادة و إنما تثبت بالارتباط بالوطن و التضحية من أجله و خدمة مصالحه. و هذا ما أخذ به حكام الجزائر في تعاملهم مع مختلف طوائف و مجموعات السكان باعتبارهم ينتمون إلى حضارة مشتركة و وطن واحد.

4. المسائل المحددة لطبيعة الدولة الجزائرية الحديثة : بين النظرة الواقعية و التفسيرات الإيديولوجية-السياسية

تطرح إشكالية التاريخ الجزائري الحديث في مختلف مظاهره و تطوراته في شكل جدلية ذات توجهين: أحدهما يسعى إلى إبراز مظاهر السيادة الجزائر بما يؤكد الكيان السياسي للجزائر كقاعدة لبناء الدولة و تنظيم مؤسساتها و بالتالي إقرار شرعيتها التاريخية، مما يعزز ذاكرتها التاريخية؛ و الآخر له منحى استرجاعي للإرث

الاستعماري للجزائر و يستمد حججه من أطروحات الدراسات الفرنسية القائمة على إلغاء وجود الدولة الجزائرية الحديثة. و كلا التوجهان يختلفان جذريا في تفسير مسائل أساسية يحاول كل اتجاه تقييمها حسب وجهة نظره، أهمها: طبيعة المؤسسة العسكرية الجزائرية (الأوجاق)، و نوعية الإدارة المحلية الجزائرية (البايليك)، و الحالة السائدة من حيث الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.

1.4- المؤسسة العسكرية[41]

أبرزتها الدراسات الفرنسية و من سار في ركابها كجماعة أوليغارشية مؤلفة من عناصر تركية مستبدة بالحكم و معزولة عن السكان و معادية لهم، دون أن يكلّفوا أنفسهم الرجوع إلى الوثائق المحلية و دون التعرف على المعاملات باستثناء الباحثين دوني و كولومب، متجاهلين متطلبات التنظيم العسكري و طبيعة المجتمع و الظروف الأمنية و الإمكانيات المادية التي تضع الكيان السياسي الجزائري في إطاره التاريخي و تفرض على البايليك تنظيمات خاصة به.

و قد تناست هذه المقاربة الاستعمارية الأحداث التاريخية التي جعلت المؤسسة العسكرية العمود الفقري لنظام الحكم، كما أغفلت الأحداث التاريخية التي تؤكد انضباط فرق الوجاق و كفاءتها القتالية و أنظمتها المحكمة و نجاحها في المحافظة على الأمن في الداخل و الدفاع عن الحدود. فاعتبرت هذه المقاربة الجهاد البحري قرصنة مع أنه يندرج ضمن القوانين البحرية كوسيلة لصد الأساطيل الأوربية و الدفاع عن الجزائر و فرض حضورها و ضمان تواصلها مع الدولة العثمانية و تعاملها مع الدول الأوربية، بحيث أصبحت الجزائر شبه جمهورية ذات طابع عسكري يرأسها الداي الذي يختار من الموظفين الكبار (الديوان الصغير) و يُزكى من قبل الديوان الكبير، بحيث يكون حسب رأي حمدان خوجة نتيجة اختيار

[41] عُرفت بالأوجاق، و هم مجموع الفرق العسكرية العاملة في المدن (نوبات الثكنات و الحصون) أو في الريف (الحاميات) بمختلف رتبها من الجندي البسيط (اليولداش) إلى صف الضباط (آغا الهلاليين). و قد قُدر متوسط العاملين في الأوجاق بـ 1200 موزعين على 424 أوجاق (فرقة)، و تُلحق بهم القوات الرديفة (فرسان المخزن و الكراغلة و زواوة و بعض المتطوعين). انظر:
COLOMBE (M.) : *Op.cit.*, p. 180.

الجزائريين[42].

كما أن الكتابات المتحاملة على نظام الأوجاق تتغافل على حقيقة العمل العسكري و مسألة الانضباط القائم على التعاضد و التكافل بين أفراد الأوجاق ضمن مجموعة متآلفة من المستكتبين من الأناضول (أتراك، و أعلاج، و أرناؤوط، و غيرهم)، و من التحق بهم من المولدين (الكراغلة) و بعض الأهالي[43]، مما يبقيهم بعيدين عن التورط في المعاملات و الدخول في علاقات تضر بانسجامهم و انضباطهم، و لا يتماشى و متطلبات الحكم المركزي القائم على فاعلية النخبة العسكرية. و هذا أمر شائع في الكثير من الأقطار الأوربية و الإسلامية، و قد يؤدي التخلي عنه إلى انحلال أجهزة الدولة، و هذا ما دفع حمدان خوجة إلى إرجاع انحطاط حكومة الجزائر قبل الاحتلال إلى فتح أبواب الحامية (الأوجاق) لأي كان[44].

2.4- طبيعة الإدارة المحلية و علاقة البايليك بالسكان

وصفت الإدارة المحلية في الكتابات الفرنسية بالاستبداد و ممارسة الظلم و التعسف في حق سكان المدن و الريف، و اتهمت بتهميش العنصر الجزائري و كانت العناصر الأخرى غير جزائرية و أجنبية، و هي مقولة فرنسية لتبرير موقف سلطات الاستعمار من الجزائريين أثناء الاحتلال، و لقيت صدى المتعاملين مع الإدارة الفرنسية مثل محمد الصالح العنتري، و إسماعيل المزاري، و بعض شيوخ الزوايا و رؤساء القبائل المعادين للحكم المركزي الذي حدّ من نفوذهم، و هذا أمر مبرر تاريخيا إلا أنه غير مفهوم عندما يتعلق ببعض الباحثين الجزائريين الذين ينقمون على إدارة البايلك في ممارسة صلاحياتها لضمان الأمن، فاعتبر بعضهم أن أهم سمة ميّزت وجود الأتراك العثمانيين بالجزائر هي هيمنتهم شبه المطلقة على أمور الإدارة و

[42] **بن عثمان خوجة (حمدان)** : *المرآة، لمحة تاريخية و إحصائية عن إيالة الجزائر*، ترجمة محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1975، ص. 127.

[43]Organisation militaire de l'Oudjaq d'Alger, Archives d'Outre-mer, Aix-en-Provence, 8 H3 (Généralités historiques: Organisation des Turcs).

[44] **بن عثمان خوجة (حمدان)** : المرجع نفسه، ص. 21.

الجيش و الاقتصاد، ليكون حظ السكان التهميش عكس الأعلاج و اليهود[45]، دون أن يكلفوا أنفسهم مقارنة أوضاع الجزائر آنذاك بالأقطار المجاورة أو الرجوع إلى الفترة التي سبقت قيام الحكم المركزي بالجزائر المعتمد على تنظيم الأوجاق كأساس للدولة الجزائرية سمح لها بأن تعرف أوضاعا أفضل من بعض الأقطار المعاصرة[46].

3.4- الحالة السائدة اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا

التي يطبعها حسب الكتابات الفرنسية العجز المالي و نقص المحاصيل و سوء الحالة الصحية و تراجع السكان و انكماش المدن و معاناة الفلاحين لحالة البؤس و المجاعة و شيوع الاضطراب. و هذه وضعية يمكن التسليم بها في فترة التراجع التي عرفتها الجزائر في الربع الأول من القرن 19 م[47]. و قد بدأت بوادر أزمة حادة متعددة الجوانب أثرت في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، و أدت إلى ضعف البايلك و عجزه عن الوقوف في وجه الأساطيل الأوربية منذ 1794[48]، و أدت في الأخير إلى عجز البلاد في مواجهة الغزو الفرنسي.

بينما الفترات الأولى للدولة الجزائرية (ق. 16-18 م) كانت كل المؤشرات و الدلائل الاقتصادية تؤكد الأوضاع الجيدة في المدن و الريف، و لا يمكن أن تعمم أوضاع فترة الضعف التي عرفتها الجزائر قبل الاحتلال من جراء اضطراب الإدارة و ضعف البحرية و تحول الضغوط الأوربية إلى مخطط إستراتيجي نتيجة التوافق الأوربي عملا بمقررات مؤتمر فيينا (1815) و بروتوكولات لندن (1818) التي مهّدت للغزو الفرنسي للجزائر (1830)[49].

---

[45] **هلايلي (حنيفي)** : "سياسة التهميش في الجزائر خلال العهد العثماني"، *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*، العدد 20، 2006، ص ص. 189-204.

[46] **EMERIT (Marcel)** : « La situation économique de la Régence d'Alger en 1830 », *Art.cit.*, pp. 169-172.

[47] **SAIDOUNI (N.)** : *L'Algérois rural…, Op.cit.*, p. 11.

[48] **سعيدوني (ناصر الدين)** : "صفحات من ماضي الجزائر المجيد : البحرية الجزائرية، ظروف نشأتها و عوامل تطورها و أسباب ضعفها"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 150-151.

[49] **LE MARCHAND (E.)** : *L'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'Etat*, Paris, Perrin et C[ie], 1913.

كما لا يمكن اعتبار ضعف الحياة الثقافية و تهميش رجال العلم خاصة في أوضاع الجزائر في تعاونها مع الدولة العثمانية لأن حالة تراجع الثقافة و انغلاق الفكر كانت سائدة قبل تلك الفترة و تطبع الوضع الثقافي في الدولة العثمانية و البلاد العربية، و هذا ما لم يأخذه أبو القاسم سعد الله في الاعتبار عندما وصف الحالة الثقافية في الجزائر في العصر الحديث بالضعف و أرجع تقهقرها إلى غياب تشجيع الحكام للعلم و العلماء[50]، بينما لاحظ بعض الباحثين الفرنسيين أن الحكم العثماني ببلاد المغرب العربي حافظت على اللغة العربية كلغة رسمية[51]، و أن الوضع الثقافي كان إيجابيا في مجمله، لتوفر خدمات المؤسسات الوقفية و نشاط المدارس بالمدن و الزوايا بالريف[52].

خاتمة: الذاكرة التاريخية للجزائر في العصر الحديث بين الاعتبارات الإيديولوجية و الموضوعية التاريخية (معركة الذاكرة)

إن الاختلاف في الرؤية و التضارب في المواقف حول صلات الجزائر بالدولة العثمانية أخذ شكل "معركة ذاكرة تاريخية" حالت دون اكتمال مفهوم موحد للدولة لدى الرأي العام الجزائري و صياغة تصور مشترك للتاريخ و نظرة واحدة لاستمرارية الكيان الجزائري كرونولوجيا و سياسيا، فهناك من يرجعه إلى عهد الأمير عبد القادر باعتباره مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، و البعض يربطه بالثورة التحريرية، وهناك من يعيده إلى الفترة النوميدية و العهد الإسلامي، بينما حقيقة الكيان الجزائري المستقل بذاته ترتبط أساسا بالصراع الدولي في غرب المتوسط بين الإسبان

-**MASSON (Paul)** : *Marseille et la colonisation française : Essai d'histoire coloniale*, 2ème éd., Paris, Hachette, 1912, p. 333.

- **سعيدوني (ناصر الدين)** : "الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية (1827-1830)"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 350.

[50] **أبو القاسم (سعد الله)** : *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج. 1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص. 135.

[51]**GOLVIN (Lucien)** : *Art.cit.*, p. 220.

[52]**EMERIT (Marcel)** : « L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830 », *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, juillet-septembre 1954, pp. 199-212.

و العثمانيين و الذي هيأ الظروف لتشكل ثم اكتمال هذا الكيان بفعل صلات الجزائر بالدولة العثمانية.

إن مسألة الذاكرة الجزائرية التي ترتبط بتشكل الكيان السياسي للجزائر و استمراره حتى 1830 أصبحت بفعل التوجهات الثقافية و السياسية المتناقضة و غير الواقعية ميدان معركة فكرية ذات أبعاد مصيرية لإسقاطاتها على الحاضر و تأثيرها على تصور المستقبل. و الجزائر ليست مثالا شاذا في ذلك، فقد عرفت كثير من الشعوب تشويشا و اضطرابا في قضية انتماءها و محددات هويتها و أصول سكانها، مما عرّض تاريخها للتشويه و ثقافتها للهدم و جعل ذاكرتها موضوع اختلافات إيديولوجية و أطروحات فكرية متباينة، و في مقدمتها الجزائر التي تعرضت دولة و شعبا إلى اعتداء معنوي و تشويه تاريخي جراء الطروحات المناقضة للحقائق من خلال الكتابات التاريخية المعادية لكيانها و ذاكرتها. لكن يقظة الحركة الوطنية و تضحيات الثورة التحريرية و وعي الشعب الجزائري، مكّنت الجزائر من استرجاع ذاتيتها و امتلاك تاريخها و المحافظة على ذاكرتها في إطار ثوابتها الحضارية.

نستنتج مما سبق أن العلاقات الجزائرية-العثمانية لا يمكن اعتبارها عملية استعمار أو هيمنة، و إنما هي في أساسها علاقات تعاون و تحالف فرضتها الأوضاع الجيو-سياسية في حوض المتوسط و حالة الصراع العثماني-الإسباني في غرب المتوسط، و أوجبتها وحدة العقيدة و المصلحة المشتركة بين إستانبول و الجزائر، فارتبط مصير الجزائر بمقدرات الدولة العثمانية لاختلال التوازن بين العالمين الإسلامي و المسيحي، و هذا ما يعطي عملية الجهاد ضد الإسبان التي تزعمها الإخوة بربروس و التي أسفرت عن إنشاء الكيان الجزائري صفة مشروع إستراتيجي حال دون تكرر كارثة الأندلس في السواحل المغاربية، فكانت عملية الجهاد البحري الوسيلة الفعّالة للوقوف في وجه الاعتداءات الأوربية[53].

إن الجزائر التي حققت استقلالها و استرجعت سيادتها بفضل ثورتها، لم تتخلص بعد من التأثير الثقافي و النفسي للاستعمار الفرنسي، مما يفرض عليها خوض معركة الذاكرة انطلاقا من ملء الفراغ المفاهيمي المتعلق بتشكل كيانها السياسي و

[53] **سعيدوني (ناصر الدين)** : "صفحات من ماضي الجزائر المجيد : البحرية الجزائرية..."، المرجع نفسه، ص ص. 140-144.

طبيعة علاقاتها مع الدولة العثمانية، و تجاوز القصور الملاحظ في البحوث الأكاديمية و لمواجهة الهجمة الشرسة لهواة التاريخ و المهتمين بالمسائل الاجتماعية و الإثنوغرافيا و القضايا التاريخية الذين يحاولون معالجة المسألة على ضوء تصورات الحاضر دون الأخذ بالاعتبار الظروف التاريخية، و هم بذلك يُخضعون التاريخ إلى التفسيرات السياسية و الإيديولوجية لمسائل تتطلب البحث و التحليل الموضوعي. و هذا ما أدى إلى تشتت الأفكار و اختلاف وجهات النظر، بل و ساعد على تمرير أطروحات معادية للبنية الذهنية و الذاكرة التاريخية الجزائرية، تمس بالموروث الجزائري المشترك من حيث أسس الدولة الجزائرية أو البناء الحضاري للشعب الجزائري و مقومات وحدته، و قد انعكس ذلك على الوضع الراهن، إذ غدت الجزائر رغم ماضيها المجيد وثورتها التحريرية دون اكتمال سيادتها الروحية و استقلالها الثقافي، تعيش شرخا عميقا في الفكر و السلوك و النظرة للماضي لارتباط مشروعها التحرري بنيل الاستقلال و ليس بناء الإنسان. فظلت التأثيرات الاستعمارية فكرا و لغة ماثلة للجميع، و أصبح من يعتبرون أنفسهم نخب المجتمع يعيشون حالة اغتراب لغوي و فراغ مفاهيمي و استلاب فكري، و لم يدركوا أنهم مصابون بعقدة الأنديجينا التي أفقدتهم عامل المناعة الحضارية و جعلتهم يحاولون الكتابة عن الجزائر و ليس للجزائر بلغة المستعمر و بنظرته المعادية للبعد التاريخي الجزائري، فهم أقرب في أفكارهم من جلادي الأمس (المعمرين) من إخوانهم في الوطن بعد أن وضعوا أنفسهم في بروج إدارية مغلقة و مناف ثقافية أجنبية تمثل التيار المعاكس لسيرورة التاريخ.

إن معركة الذاكرة التاريخية و تبلور سيادة الدولة الجزائرية معركة فكرية بين التطلع إلى مستقبل متحرر من ترسبات الاستلاب الثقافي الفرنسي و بين تيارات فكرية متأثرة بالنظرة الاستعمارية للتاريخ الجزائري، مما سوف ينعكس سلبا على اكتمال الهوية الجزائرية و توجهات المجتمع الجزائري، و يكون الحكم في هذه المسألة سوف يكون لأجيال المستقبل بعد أن فشل جيل الاستقلال في استكمال تحرر الجزائر الفكري و اللغوي.

و لا أجد خير ما أختم به هذا العرض من قول محمد بن رقية الجديري التلمساني في مصنفه "الزهرة النائرة" : "و ليعرفوا قدر الجزائر. إن تراب نواحيها

معجون بدماء الكفار. اللهم أدمها دار جهاد و محل عزم و اجتهاد يوم التناد"[54]، و أخاله يرد بهذه الكلمة على منكري الأسس التاريخية للسيادة الجزائرية و وجود دولة جزائرية حديثة في إطار الرابطة العثمانية قبل تشكل كيانات العديد من الأقطار الأوربية الحديثة.

المراجع باللغة العربية :

-**أبو القاسم (سعد الله)** : *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج. 1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

-**التميمي (عبد الجليل)** : "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 3، 1975، 100-106.

-**التميمي (عبد الجليل)** : "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 6، 1976، 116-120.

-**الكعّاك (عثمان)** : *موجز التاريخ العام للجزائر*، ط. 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005 (الباب السادس: الجزائر التركية).

-**المدني (أحمد توفيق)** : *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا*، ط. 2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976.

-**بن رقية الجديري التلمساني (محمد)** : "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" (ألّفه في 1779)، *مجلة تاريخ وحضارة المغرب*، الجزائر، العدد 3، 1967، 2-32.

-**بن عثمان خوجة (حمدان)** : *المرآة، لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر*، ترجمة محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1975.

[54] **بن رقية الجديري التلمساني (محمد)** : "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" (ألّفه في 1779)، *مجلة تاريخ وحضارة المغرب*، الجزائر، العدد 3، 1967، ص. 32. انظر أيضا: **سعيدوني (ناصر الدين)**: *من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين)*، ط. 2 مزيدة ومنقحة، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، ص. 460.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شأن صالح رايس (963 هـ-1555 م)"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، 101-121.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "نحو مقاربة جديدة لتاريخ العرب الحديث، مناقشة مفاهيم و عرض تصورات"، *مجلة الخليج للتاريخ و الآثار*، الكويت، جمعية التاريخ و الآثار بدول مجلس التعاون الخليجي،العدد 2، 2006، 117-151.

-**خير الدين بربروس**: *مذكرات*، ترجمة محمد دراج، ط. 2، الجزائر، الأصالة للنشر والتوزيع، 2013.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "واقع و آفاق الدراسات العثمانية في الجزائر (عرض تعريفي و نظرة شاملة)"، *مجلة المواقف*، جامعة معسكر، عدد 7، ديسمبر 2012، 9-45.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 37-57.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "وثائق الأرشيف الجزائري المتعلق بالفترة العثمانية"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 59-77.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "نظرة في المناهج الجامعية و المؤلفات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 79-89.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "المصادر المحلية لدراسة تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 91-113.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر: صلاحياتهم الإدارية و مهامهم الاقتصادية و الاجتماعية"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 167،2013-211.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية، نموذج مقاطعة دار السلطان"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 231-245.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "صفحات من ماضي الجزائر المجيد : البحرية الجزائرية، ظروف نشأتها و عوامل تطورها و أسباب ضعفها"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 137-165.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية (1827-1830)"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 341-354.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "السيادة الجزائرية في العهد العثماني"، ضمن كتاب *الجزائر منطلقات و آفاق*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 165-199.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: *تاريخ الجزائر في العهد العثماني*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: *من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين)*، ط. 2 مزيدة ومنقحة، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "إشكالية نهاية الدولة الجزائرية في العهد العثماني (1830): بين الأزمة الداخلية و الظروف الدولية و الهزيمة العسكرية"، *الأيام الدراسية حول العلاقات الجزائرية-التركية منذ الفترة العثمانية حتى الآن*، الجزائر، 10-11 مارس 2017 (قُدم للنشر في أعمال الأيام الدراسية حول *العلاقات الجزائرية-التركية منذ الفترة العثمانية حتى الآن*، والتي لم تصدر بعد).

-**عبد القادر (نور الدين)**: *صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء الحكم التركي*، جامعة الجزائر، منشورات كلية الآداب، قسنطينة، مطبعة البعث، 1965.

-**هلايلي (حنيفي)**: "سياسة التهميش في الجزائر خلال العهد العثماني"، *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*، العدد 20، 2006، 189-204.

المراجع باللغة الأجنبية :

-AGERON (Ch.-R.) : *Histoire de l'Algérie contemporaine*, Paris, P.U.F., 1980.
-BARTILLAT (A. J.) : *Relation de la campagne d'Afrique en 1830*, Paris, G.A. Dentu, 1831.
-BENACHENHOU (A.) : *L'État algérien en 1830*, Alger, S.N.E.D., s.d.
-BERNARD (A.) : *L'histoire des colonies françaises*, T. 2 : L'Algérie, Paris, Plon, 1920.
-BERTHEZENE (P. de) : *Dix-huit mois à Alger ou récit des événements qui s'y sont passés depuis le 14 juin 1830, jusqu'à la fin de décembre 1831*, Montpellier, imp. Ricard, 1834.
-BOYER (P.) : « Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger: 16-19ème siècles », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée,* n° 1, 1966, 11-49.
-BOYER (P.) : « Introduction à l'histoire intérieure de la Régence d'Alger », *Revue historique*, T. 235, 1966, 297-316.
-CARETTE (E.) : *L'Algérie,* Paris, F. Didot, 1862.
-CLAUSOLLES (P.) : *L'Algérie pittoresque, Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours*, Toulouse, Paya, 2 parties, 1843.
-COLOMBE (M.) : « Contribution à l'étude du recrutement de l'*Odjaq* d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence », *Revue africaine*, LXXXVII, 1943, 165-183.
-DAN (Père R. P. Fr. P.) : *Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli*, 2ème éd., Paris, P. Rocolet, 1637.
-DAUMAS (E.) : *Exposé de l'état actuel de la société arabe, du gouvernement et de la législation qui la régit*, Alger, imp. du Gouvernement, 1844.
-DELPHIN (G.) : « Histoire des Pachas d'Alger de 1515 à 1745, extrait d'une chronique indigène », traduite et annotée par G. Delphin, in *Journal asiatique*, série 19, avril-juin 1922, 161-233.
-DENY (J.) : « Les registres de solde des janissaires conservés à la B.N.A. », *Revue africaine*, LXI, 1920, 19-46 et 212-260.
-DENY (J.) : « À propos du fond arabo-turc des archives du Gouvernement général de l'Algérie, *Revue africaine*, LXII, 1921, 375-378.

-**DESFONTAINES (R.-L.)** : *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger,* pub. par M. Dureau de la Malle, Paris, Gide, 1838, T. 2.
-**DEVOULX (A.)** : « Le registre des prises maritimes, traduction d'un document authentique et inédit », extrait de *Revue africaine*, XV-XVI, 1871-1872, Alger, Jourdan, 1872.
-**DJENDER (M.)** : *Introduction à l'histoire de l'Algérie*, Oran, S.N.E.D, 1968.
-**DRESCH (J.)** : « Le fait national algérien », *Hérodote,* 11, 1978, 109-124.
-**EMERIT (M.)** : « La situation économique de la Régence d'Alger en 1830 », *Information historique,* 2, mars-avril 1952, 169-172.
-**EMERIT (M.)** : « L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830 », *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, juillet-septembre 1954, 199-212.
-**EMERIT (M.)** : « L'Algérie de 1830 comparée aux autres pays méditerranéens », *Information historique,* 5, novembre-décembre 1963, 194-196.
-**ESQUER (G.)** : *Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger par le chef de bataillon Boutin (1808), suivie des Mémoires sur Alger par les consuls de Kercy (1791) et Dubois-Thainville (1809),* Paris, Honoré Champion, 1927.
-**ESQUER (G.)** : *Les commencements d'un empire, la prise d'Alger, 1830,* Paris, Larose, 1929.
-**ESTERHAZY (W.)** : *De la domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger,* Paris, C. Gosselin, 1840.
-**FARAH (M.)** : « Faut-il pardonner aux Ottomans leurs crimes parce qu'ils sont musulmans? », in *Le Soir d'Algérie*, 22 avril 2021.
-**GAFFAREL (P.)** : *L'Algérie : histoire, conquête et colonisation*, Paris, Firmin-Didot, 1883.
-**GAID (M.)** : *L'Algérie sous les Turcs*, Tunis, S.N.E.T., 1974.
-**GAUTIER (E.-F.)** : *Le passé de l'Afrique du Nord : les siècles obscurs*, Paris, Payot, 1952.
-**GALIBERT (L.)** : *L'Algérie ancienne et moderne*, Paris, éd. Furne et C^{ie}, 1844.
-**GENTY DE BUSSY (P.)** : *De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger et des moyens d'en assurer la prospérité*, 2ème éd., Paris, Firmin Didot, 1839, T. 2.

-GODIN (F.) : « Le régime foncier de l'Algérie », in *L'Œuvre législative de la France en Algérie,* Collection du Centenaire de l'Algérie, Paris, Alcan, 1930.
-GOLVIN (L.) : « Le legs des Ottomans dans le domaine artistique en Afrique du Nord », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 39, 1985-1, 201-226.
-GRAMMONT (H. D. de) : *Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830*, Paris, E. Leroux, 1887 et éd. Bouchène, 2002.
-JULIEN (C.-A.) : *Histoire de l'Afrique du Nord,* Paris, Payot, T. II. 1964.
-JULIEN (C.-A.) : *Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871),* Paris, P.U.F., 1964.
-LAPÈNE (E.) : *Tableau historique de l'Algérie depuis l'occupation romaine jusqu'à la conquête par les Français en 1830,* Metz, imp. de S. Lamort, 1845.
-LAUGIER DE TASSY (J.-P.) : *Histoire du royaume d'Alger et du bombardement de cette ville en 1816, description de ce royaume et des révolutions qui y sont arrivées,* Paris, Piltan, 1832.
-LE MARCHAND (E.) : *L'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'Etat*, Paris, Perrin et C^{ie}, 1913.
-MANTRAN (R.) : « Les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie, Notes pour une étude plus approfondie », *Annuaire de l'Afrique du Nord,* 1962, C.N.R.S., 248-343.
-MANTRAN (R.) : « Le statut de l'Algérie, de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'empire ottoman », *Atti del I Congresso internazionale di studi nord-africani,* 1962, Cagliari, 22/25, 205-216.
-MANTRAN (R.) : « L'Empire ottoman : La vision européenne », *Studies on Turkish Arab Relations,* Annual 1986, TAIV, 189-192.
-MASSON (P.) : *Marseille et la colonisation française : Essai d'histoire coloniale*, 2ème éd., Paris, Hachette, 1912.
-MERCIER (E.) : *Comment l'Afrique septentrionale a été arabisée*, Constantine, Imp. L. Marle, 1874.
-MERCIER (E.) : *Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830),* T.3. Époque moderne (1515-1830), Paris, E. Leroux, 1891.
-PANANTI (J.) : *Relation d'un séjour à Alger contenant des*

observations sur l'état actuel de cette Régence, trad. de l'anglais par E. Blanquière, Paris, Le Normand, 1820.

-PELLISSIER DE REYNAUD (E.) : *Annales algériennes*, Alger, Anselin et Gautier, Laguione, 1836-1839, 3 vols.

-PERROT (A.-M.) : *Alger, esquisse topographique du royaume et de la ville*, Paris, Ladvocat, 1830.

-PARET (R.) : « Quand l'Algérie ne savait pas qu'elle était algérienne », *Preuves*, n◦ 188, octobre 1966, 68-79.

-PEYSSONNEL (J.-A.) : *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger*, Paris, La Découverte, 1987.

-ROBE (E.) : *Origines, formation et état actuel de la propriété immobilière en Algérie*, Paris, Challamel, 1885.

-ROZET (C.-A.) : *Voyage dans la Régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique*, Paris, Arthus Bertrand, 1833, 3 vols.

-SAIDOUNI (N.) : *L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830)*, Beyrouth, Dâr Al-Gharb Al-Islâmî, 2001.

-SERRES (J.) : *La politique turque en Afrique du Nord sous la Monarchie de Juillet*, Paris, Paul Geuthner, 1925.

-SHAW (T.) : *Voyage dans la Régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc. de cet état*, trad. de l'anglais avec des nombreuses augmentations par J. Mac Carthy, Paris, Marlin, 1830.

-TERNON (Y.) : *L'Empire ottoman : Le déclin, la chute, l'effacement*, Paris, Le Félin, 2002.

-THOREZ (M.) : « Le peuple algérien uni autour de la France : Le Discours d'Alger le 11 février 1939 », *La Brochure Populaire*, 3ème année, n◦ 7, avril 1939, 3-14.

-VATIN (J.-C.) : « L'Algérie en 1830. Essai d'interprétation des recherches historiques », *Revue algérienne des Sciences juridiques et économiques*, vol. 7, n◦ 4, décembre 1970, 977-1058.

-VENTURE DE PARADIS (J.-M.) : *Tunis et Alger au 18e siècle*, Paris, Sindbad, 1983.

-WATBLED (E.) : « Établissement de la domination turque en Algérie », *Revue africaine*, XVII, 1873, 287-299, 352-363.

-WATBLED (E.) : « Pachas et pachas-deys », *Revue africaine*, XVII, 1873, 438-443.

-**YACONO (X.)** : « La Régence d'Alger en 1830, d'après l'enquête des commissions de 1833-1834 », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 1, 1966, 229-244.